ترجمة الصيغ الزمنية في القرآن الكريم إلى الفرنسية
في ضوء المنهج التقابلي
قسم الماضي نموذجاً

عبد الجبار توامي
كلية اللغة العربية - الرياض

تعدّ دراسة الصيغ الزمنية أو زمنية الصيغ من أهمّ موضوعات الفعل ومقولاته النحوية في اللغات عامة وفي اللغة العربية خاصّة، ذلك أن فهم الجهات الزمنية للفعل والصفة في التركيب أمر ضروري لتصور معنى النصّ ودلالات الجمل التي تقبع فيها الصيغ الزمنية للمباني الصرفية البسيطة منها والمركّبة.

والزمن اللغوي بوصفه أقساماً ثلاثة وجهات عدّة (aspects) تتفرّع عن كل قسم (فالماضي جهات والحاضر جهات والمستقبل جهات)، يتحدّد في اللغة العربية عن طريق الصيغ الفعلية والوصفية مضافة إليها الضمائم واللواصق، وذلك لتعرب عن دقائق الزمن، وهذا قد يكون بالصيغ المركّبة التي تعبّر عن الأزمنة المركّبة، واللغة العربية غنية بالصيغ والأزمنة المركّبة التي تعبّر عن مختلف جهات الزمن، وهي في هذا الجانب متميّزة عن بقية أخواتها من اللغات التي تدعى بالسامية، فهي ـ كما يرى اللغوي المستشرق الألماني برجستراسر ـ تخصّص معاني أبنية الفعل وتنوّعها بطريقتين: الأولى: اقترانها بمختلف أدوات الأساليب، مثل "قد " و"لن"، والثانية: دخول الأفعال المساعدة عليها، نحو "كان" وأخواتها، فتكون العربية بهذا منوّعة لمعاني الفعل الزمنية تنويعاً قريباً من غنى الفعل الغربي، أو بالأحرى أغنى منه أحياناً.

والقرآن الكريم بوصفه كتاب العربية الأول و"مدوّنتها" الخالدة، ومثال الفصاحة (الوظيفية) فيها، غنيّ بالأمثلة عن الصيغ الزمنية بدلالاتها الواضحة عن مختلف الأزمنة والجهات، ولعلّ مقابلة دقيقة بين بعض هذه الصيغ في العربية بأمثلتها القرآنية بنظائرها في اللغة الفرنسية عن طريق الترجمة الدقيقة، ستكشف عن نقاط التشابه خاصة بين اللغتين في كيفية التعبير عن مختلف الجهات الزمنية، فضلاً عن دحض مقولة ضعف العربية في التعبير عن الأزمنة الموجودة في اللغات الغربية.

وسأركّز في هذا البحث على قسم الماضي بما يحويه من جهات زمنية مختلفة،

وأشـهـرها: الماضي البـسـيط أو المطلق، الماضي القـريـب، الماضي البـعـيـد، الماضي الاستـمـراري، ولعلي أوسع الموضـوع في قابل الأيام بإذن الله تعالى ليشـمل قسم الحاضر والمستقبل. وهذه الدراسة تمثّل نموذجاً لكيفية ترجمة الصيغ الزمنية في القرآن الكريم إلى الفرنسية.

الزمن في اللغة العربية فصيلة نحوية، لايمكن أن تنسب إلا إلى السياق، أي أن الزمن نحوي بالأساس يتشكل وفق قرائن السياق، كما هو الأمر أيضاً في اللغات الغربية كالفرنسية التي يعدّ الزمن فيها مقولة نحوية catégorie grammaticale، أو مقولة للتركيب الفعلي catégorie du syntagme verbal، لأنّه يعبّر عنه في الغالب بسوابق الفعل ويتحقق غالبا بالظروف الزمنية (أمس hier، الآن maintenant، غداً demain (dictionnaire de linguistique larousse, p483-484)، فإذا تجاوزنا ما اصطلح عليه بـ (الزمن الصرفي) ـ كما يرى المطلبي ـ وقعنا على شبكة زمنية تتخذ نسيجها من الصيغ الفعلية وما يتولد عنها من اتجاهات نحوية جديدة، وما يضاف إليها من صيغ حدثية غير فعلية، وصيغ مركبة، وقرائن، مع ملاحظة الجمل والأساليب اللغوية التي تقبع فيها تلك الأنواع من الصيغ، بالإضافة إلى ارتباط إمكانات السياق الزمنية هذه من جهة الدلالة بسياق الحال أوالمقام. (انظر: الزمن واللغة ٨٣).

ومن هذا المنطلق وجّه البحث المعاصر نقداً كبيراً إلى الرأي الذي يرى أن الصيغة المنعزلة وحدها تكوّن الزمن في اللغة العربية، ورأى على النقيض من ذلك أنه لا يوجد في العربية ما يمكن تسميته زمناً صرفياً، ورفض القول بدلالة الفعل على الزمن بلا مراعاة لاستعمالاته. (المرجع السابق ١٦).

ـ الزمن النحوي في اللغة العربية:

لقد لاحظ المستشرق الألماني برجستراسر أنّ العربية تتميّز عن سائر اللغات السامية في تخصيص معاني أبنية الفعل وتنويعها وذلك بواسطتين: الأولى:

اقترانها بمختلف أدوات الأساليب، مثل "قد " و"لن" و"سوف" نحو "قد فعل" و"قد يفعل" و"سيفعل" و"لن يفعل"، والثانية: دخول الأفعال المساعدة عليها، نحو "كان" وأخواتها نحو "كان قد فعل" و"كان يفعل" و"سيكون قد فعل"، فتكون العربية بهذا منوّعة لمعاني الفعل الزمنية تنويعا قريبا من غنى الفعل الغربي، أو بالأحرى أغنى منه أحيانا. (التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر ص٥٧، ٥٨).

ويبيّن هذا الحكم الصادر من هذا المستشرق مدى التناقض الموجود بين المستشرقين في نظرتهم إلى موضوع الزمن في العربية، ففي حين يسم أغلب المستشرقين العربية بأنّها فقيرة في تعبير صيغها عن الزمن، يرى برجستراسر أنها من أغنى اللغات في هذا المجال، ويرى أحد الدارسين المحدثين أنّ مجمل تحليلات الأستاذ برجستراسر تستند في وجودها إلى ما يسمّى الصيغ الفعلية المركّبة، وأنّ البحوث اللغوية التالية قد صدرت عن آراء هذا الأستاذ، بل إنّ بعض اللغويين العرب قد ردّدوا عباراته. (الزمن واللغة ١٠٠).

هذا ورأى لفيف من اللغويين العرب المحدثين أنّ قدرة العربية في التعبير عن دقائق الزمن يكون عن طريق نشوء الصيغ المركّبة، (انظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ١٤٨، الفعل زمانه وأبنيته للسامرائي ٢٥-٦، علم اللغة العربية لمحمود فهمي حجازي ٣٦).

وهذا يعني أن هؤلاء اللغويين قد لاحظوا أنّ العربية تفعل مثلما تفعل اللغات الغربية عند التعبير عن دقائق الزمن، إذ تلجأ هذه اللغات إلى تكوين الصيغ المركّبة للتعبير عن دقائق الزمن، إذ هي تزاوج بين الأفعال العادية والأفعال المساعدة في إنشائها للصيغ الزمنية المركّبة. ومن أهمّ الأفعال المساعدة الدالة على الزمن في العربية "كان" وأخواتها، وقد أسمى د. تمام هذه الأفعال ومعها أفعال الشروع والمقاربة بالأدوات الفعلية، لأن الزمن فيها هو وحده معناها، فلا يقترن فيها بمعنى الحدث، ودعا أحد اللغويين المحدثين إلى تسمية "كان" وأخواتها بالأفعال المساعدة

(verbes auxiliaires)، لأنها إذا دخلت على جملة اسمية ساعدت على جعل الاسم فيها في حيّز زمان معيّن، وإذا دخلت على جملة فعلية ساعدت على تفصيل الأزمنة وتحديدها، وعلى تعيين العلاقات والصلة بين فعل وفعل، وبين حدث وحدث.

ويرى النحاة أنّ "كان" تدلّ على الماضي المنقطع في الأصل، ويجوز أن تدخل ما معناه الزمن الدائم الذي لا ينقطع كالآية: ﴿وكان ربّك قديرا﴾ [الفرقان ٢٥/٤٥]، أي أنّها تفيد الاستمرار إذا استعملت مع صفات الله تعالى (معاني القرآن للفراء ٢/٤٠٣) و(قواعد الصرف والنحو في اللغة العربية لابن حمّودة أحمد ص١٨). وتستعمل "كان" ضميمة لصيغة "فعل" لتدلّ على الماضي المنقطع نحو: (كان فعل) أو (كان قد فعل) أو (قد كان فعل) (في النحو العربي نقد وتوجيه١٣١)، كما تستعمل فعلا مساعدا لـ (يفعل) فتدلّ على الماضي المستمرّ أو الاعتيادي الذي يقابله في الفرنسية (l' imparfai) (قواعد الصرف والنحو في اللغة العربية لابن حمّودة أحمد ص١٨)، وتضامّ "كان" أفعالا أخرى لتدلّ على أزمنة متعددة مثل المستقبل في الماضي والماضي في المستقبل.

أمّا أفعال الكينونة الخاصة:(أصبح، أمسى، بات، . . .إلخ) فتدلّ على الاستمرار في الأوقات الخاصة بها، فمثلاً (بات) للاستمرار في الليل، و(أصبح) للاستمرار في الصبح، (داسات نقدية في النحو العربي لعبد الرحمن أيّوب١٨١)، و(يفعل) المقترن بهذه الأدوات الفعلية نحو(بات يفعل) يدلّ على الاستمرار في الوقت الذي وجد فيه (زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ٤٩). أمّا أفعال الكينونة المستمرّة كـ(ما زال، ما برح، ما فتئ، ما دام، ما انفكّ) فتدل على الاستمرار العام، أو على ملازمة الصفة الموصوف مذ كان قابلاً لها على حسب ما قبلها، فإن كان ما قبلها متّصل الزمان دامت كذلك، وإن كان ما قبلها في أوقات دامت له كذلك (همع الهوامع ١/١١٢).

أمّا أفعال المقاربة (كاد وأخواتها) فتشبه (كان) وأخواتها من جهة تضامّها مع أفعال أخرى دالة على الزمن الشروعي والمقاربي، وهما جهتان في زمن الماضي والمستقبل، فهي ـ على هذا ـ أدوات فعلية أو أفعال مساعدة، مثل (كان) وأخواتها. فأدوات المقاربة تسمّى أفعال الدنوّ، تفيد المقاربة في وقوع الفعل الذي دخلت عليه، ومعنى الزمن المقاربي الذي تُؤدّيه هذه الأدوات هو أنّ زمن الجملة التي تسبقها أدوات المقاربة قد قرب من زمن الحاضر، وتدلّ صيغة (فعل) في هذه الأدوات الفعلية على أنّ زمن الجملة التي بعدها هو الماضي القريب من الحاضر، و(كاد) وأخواتها يخبر بها عن المقاربة فيما مضى وفيما يستقبل، نحو: كاد يقوم أمس، ويكاد يخرج غداً، فجيء ببناء (فعل) و(يفعل) فيه ليراد بها المضي والاستقبال. (شرح المفصل ٧/١٢٦).

أما أدوات الشروع كـ (أخذ، جعل) فتدلّ على بداية القيام بالفعل بعدها، وهذه الأدوات لاتؤدّي معنى الشروع إلاّ على صيغة (فعل)، لأنّ هذه الأبنية موادّ أريد بها إثبات هذه الدلالة المعنوية وهي الشروع في الفعل (الفعل زمانه وأبنيته ٣٢)، فتدلّ صيغة (أخذ يفعل) ومثيلاتها على الماضي الشروعي، وهذه جهة في الماضي تؤدّيها الصيغة المركّبة، مثل صيغة الماضي المقاربي المركّبة (كاد يفعل) أو صيغة المستقبل المقاربي المركّبة (يكاد يفعل)، وهي صيغ ثابتة في الدلالة على هذا الزمن.

الصيغ الزمنية في القرآن الكريم وترجمتها إلى الفرنسية:

ممّا تقدّم يبدو أنّ الفعل في اللغة العربية يعبّر على المستوى النحوي (التركيبي) عن معظم جهات الزمن المعروفة في نحو الفعل في اللغات الغربية ولاسيّما الفرنسية، وكثير من صيغ الفعل العربي المركّبة لها دلالة قارة على جهة زمنية معيّنة، سواء في حقل الماضي أو الحاضر أو المستقبل، والقرآن الكريم باعتباره المدوّنة الكبرى للغة

العربية يتضمّن أهمّ جهات الزمن المعبّر عنها بالصيغ الفعلية البسيطة والمركّبة في اللغة العربية، وأهمّ الصيغ الزمنية في القرآن نجدها كالآتي:

** صيغة "فعل":

تدلّ هذه الصيغة في كثير من الأحيان على الماضي المطلق الذي لم يشر فيه إلى جهة زمنية معيّنة كالبعد والقرب أو الاستمرار، ولهذا كان بسيطا من الناحية الشكلية التركيبية، وبساطته تأتي من خلوّ مادّته من السوابق واللواحق التي تحدّد بدقة زمن المدة فيه (معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم لحامد عبد القادر، مجلة مجلة مجمع اللغة العربية ١٠/٦). وتعبّر هذه الصيغة المجردة غالبا عن الماضي مطلقاً، كقولنا: (دخل الزائرون)، دونما تحديد لهذا المضي، ومعناه سرد دخولهم فقط، (في النحو العربي نقد وتوجيه ١٢٢).

وهذا يعني أنّ هذه الصيغة تعبّر عن دلالة زمنية غير محددة في الماضي، وبعبارة أخرى تعبّر هذه الصيغة عن دلالة قسم زمني هو الماضي الذي يحتمل القرب والبعد (الزمن واللغة ٢٢٠)، ويطّرد في العربية ـ في مستوياتها عامة ـ توقيت الصيغة "فعل" للإشعار بارتباطها الوثيق بالسياق التاريخي (السابق)، ويعكس نصّ بروكلمان ذلك: «وفي صيف ٦٢٢م غادر أتباع محمد مكة، وفي ٢٠ أيلول سنة ٦٢٢م وصل إلى قباء، ولبث النبيّ في قباء خمسة أيام....» (تاريخ الشعوب الإسلامية ٤٥). وقد تدل هذه الصيغة على أن الحدث وقع في الماضي وتردد وقوعه مرات عديدة نحو: (أشرقت الشمس) (الفعل زمانه وابنيته ٢٨)، أو أن الحدث قد وقع في ماض بعيد وذلك إذا صاحبه ظرف زمني دال على البعد، نحو الآية: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [الحجر ١٥/٢٧].

وفي اللغة الفرنسية قد يقابل صيغة الماضي البسيط أو المطلق في العربية "فعل" صيغة الزمن المسمّى: le passé simple، الذي يستعمل عادة للتعبير عن حدث

تـام مطـلـق في الماضـي لا يرتبـط بالحاضـر ولـم تحدد فيه المـدة la durée عكـس l imparfait، ويدل على لحظة معيّنة، كالقول: christophe colomb découvrit l amérique en 1492، ويستـعـمل هذا الزمن في الفرنسية عادة في الاستـعـمال الكتابي في السرد التاريخي، كما في المثال السابق، ولكن في الاستعمال الشفاهي أي الكـلام المسمـوع يعبّـر عـن نفس الفكرة بصيغة أخرى هي صيغة le passé composé، فتقال الجملة السابقة على النحو التالي: christophe colomb a découvert l amérique en 1492. (larousse de la grammaire 107)

ولهذا يلاحظ أن" le passé simple" لا يستخدم في اللغة الفرنسية إلاّ في اللغة المكتوبة، ويحلّ محلّه في اللغة المنطوقة le passé composé، ولهذا يمكن أن يعدّ الأول "زمـن" التعبير الكتـابي والـثاني "زمـن" التعبـير الشـفـاهي في الفرنسـية (précis de grammaire française ,grevisse p185) و(grammaire pratique 127)، ولكن يلاحظ هنا أن le passé simple قـد يعـبـر عن حـدث بعـيـد في الماضي، في حين يعبّر الآخر عن حدث قريب أو متّصل بالحاضر.

وعلى العموم يعبّر le passé simple عن أحداث ماضية ويمكن أن يحدّد فيه التاريخ كما في الجملة السابقة، ولهذا يستعمل هذا الزمن إذا تعلق الأمر بوصف أحداث تاريخية لأنه هو الزمن الوحيد الذي يعرض التعاقب أو التسلسل التاريخي للوقائع والأحداث التي لا يربطها أي شيء بالحاضر. وقد يوضع le passé simple مكان le présent historique، نحو: l emir abdelkader mit sur pied les struc- tures d une nation، أو . . l emir abdelkader met، وقد يعبّر به عن مدة طويلة متتابعة أو متكرّرة في الماضي التام نحو: il marcha trente jours، وقد يعبّر عن أحداث قصيرة تتتابع بسرعة نحو: il tomba, se releva, puis tomba encore، (apprendre.enseigner la conjugaison 95-97).

وقد يستخدم "le passé simple" أحياناً معادلاً للحاضر le présent، وذلك للتعبير عن حقيقة عامة ويرد عندها في الجملة مقترناً بظرف زمني comlément de temps نحو : un bienfait reproché tint toujours lieu d offense .(racine)، (précis de grammaire française, grevisse p185).

وبنظرة تقابلية بين العربية والفرنسية في استخدام كلّ منهما لما يسمّى بصيغة الماضي البسيط le passé simple، يلاحظ أن التشابه الكبير قائم في الاستعمال بينهما إلى حدّ كبير، ولاسيّما في عدم تعلّق كلتا الصيغتين فيهما بما يسمّى زمن المدة : la période de la durée، وفي استعمالهما الغالب في سرد الأحداث والوقائع التاريخية، وهو أمر سيتضح عند ترجمة الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في القرآن الكريم .

*** ترجمة الدلالة الزمنية لصيغة الماضي البسيط "فعل" في القرآن إلى الفرنسية :**

يكثر استخدام هذا الماضي بصيغة " فعل" في القرآن في سرد الأحداث والوقائع التاريخية التي لا ترتبط بالحاضر، نحو الآيات :

ـ ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ (يوسف ١٢ / ٣٦) : الآية تتحدث عن واقعة دخول النبيّ يوسف عليه السلام السجن، وجرى التعبير هنا عن حادثة الدخول في الماضي المطلق بصيغة " فعل" التي دلت على الماضي البسيط، الذي أدّى هنا دلالة le passé simple" في الفرنسية بدقة، وعليه يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية كالآتي :

Deux jeunes gens entrèrent avec lui en prison.

.(Alquran al karim 308 , trad dr salah eddine kechrid)

ـ ﴿ وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي . . . ﴾ (هود ١١ / ٤٤) : هذه الآية تقصّ جزءاً من حادثة الطوفان وسفينة نوح عليه السلام، والتعبير بصيغة

الماضي البسيط ههنا في الأفعال الثلاثة (غيض، قضي، استوت) يدلّ على تتابع أحداثها في الماضي دون تحديد المدّة، وهو ما يتلاقى مع أحد أهمّ أوجه استعمالات le passé simple الزمنية في الفرنسية، كما رأينا آنفاً، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغ الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي :

Et l eau disparut , l arrêt de dieu s accomplit , l arche se posa sur le joudy (ibid 290) .

ـ ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ (الكهف ١٨ / ٢٥): يعبّر الفعل " لبثوا" في الآية بصيغته ـ وهي صيغة الماضي البسيط ـ على وقوع الحدث في فترة طويلة في زمن غير محدّد في الماضي، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي :

Il restèrent dans leur caverne trois centaines d années et en ajoutèrent neuf) . (ibid 384).

هذا وقد ترجم جاك بيرك الفعل " لبثوا" في الآية بصيغة le passé coposé على هذا النحو : (Ils ont sejourné dans leur caverne trois cents ans le Coran trad jacques berque p. 310).

ولكنّ هذه الترجمة ليست دقيقة رغم أنّ الماضي المركّب في الفرنسية قد يعوض الماضي البسيط تركيبياً، لأنّ هناك فعلين في الآية بصيغة الماضي البسيط، وقد ترجم بيرك نفسه الفعل الثاني (ازدادوا) في الآية والمعطوف على الفعل الأول (لبثوا) بصيغة le passé simple، وترجمته هي : (auxquels on en ajouta neuf)، والفعل المعطوف في العربية على فعل غيره يكون مثله في الدلالة الزمنيه، لاسيما إذا كانا متماثلين في الصيغة .

ـ ﴿ وقطّعناهم في الأرض أمماً . . . وبلوناهم بالحسنات والسيّئات لعلّهم

يرجعون. فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب... ﴾ (الأعراف ٧/ ١٦٨-١٦٩):

هاتان الآيتان مرتبطتان بالسياق التاريخي لبني إسرائيل، فهما تقصّان حوادث مرّت بهم فيما مضى في زمن منه غير محدّد، وعلى هذا يسوغ ترجمة الأفعال بصيغة الماضي البسيط (قطّعناهم، بلوناهم، خلف، ورثوا) إلى الفرنسية بما يقابل دلالتها الزمنية على النحو التالي:

nous les déchirâmes de par le monde en communautés ...nous les éprouvâmes par les bonnes choses et par les mauvaises choses , peut- être reviendrait -ils ..il leur succéda une mauvaise progéniture qui héritèrent du livre. (Alquran al karim 220 , trad dr salah eddine kechrid).

وقد جنحت ترجمات أخرى للقرآن إلى ترجمة بعض صيغ أفعال الآية المشار إليها آنفاً بصيغة le passé coposé، كما في ترجمة الشيخ حمزة بوبكر ونصّها:

Nous avons réparti les fils d israel...nous les avons gratifiés de faveurs ..

ولكنه عند ترجمته للفعلين الأخيرين (خلف، ورث) لم يسلك نفس الترجمة، بل ترجمهما بصيغة le passé simple، رغم أنّ المعنى الزمني واحد في جميع الأفعال المذكورة وهو الماضي البسيط أو المطلق، فما معنى أن تختلف الترجمة فيهم، ونصّ ترجمته للفعلين الأخيرين:

La génération issue d eux qui leur succéda , hérita de l écriture..

(Le coran , trad boubakeur hamza p 207) .

ويكثر تحقّق الماضي البسيط في القرآن في القصص المكّي في صيغة " فعل" بعد الظرف "إذ"، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿ وإنّ من شيعته لإبراهيم، إذ جاء ربّه بقلب سليم، إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ (الصافات ٣٧/ ٨٣-٨٥)، وقد كثر تركيب (إذ فعل) الدال على الماضي البسيط أو المطلق في سورة الصافات، لأنّها قد اختصّت بذكر وقائع قصص الأنبياء

الماضية بإيجاز واقتضاب، وهذا موضوع يناسبه تركيب الماضي البسيط بعد " إذ"، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في هذه الآيات إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Et abraham était , certes , de ses adeptes , quand il vint vers son seigneur d un c ur sain , quand il dit a son père et a son peuple: ?qu adorez vou (Le coran , trad boubakeur hamza p 202).

**** صيغة " قد فعل"**

تدل هذه الصيغة في العربية في كثير من الأحيان على زمن الماضي القريب، والمتّصل بالحاضر، قال الكفوي: «الفعل الماضي يحتمل كلّ جزء من أجزاء الماضي، وإذا دخلت عليه "قد" قرّبته من الحال، وانتفى عنه ذلك الاحتمال» (الكليات ٤٥٨)، وقد سمّى اللغوي والمستشرق الروسي خراكوفيسكي هذا النوع من الماضي في العربية بالماضي المحدّد، (دراسات في علم النحو العام والنحو العربي لخراكوفيسكي ٢٢١)، وذكر المستشرق وليام رايت أنّ (قد فعل) تشير دلالتها إلى وقوع الحدث قبل زمن التكلّم، كما في الشاهد القديم «قد ذكرنا وزارة جدّهم خالد بن برمك في أيّام المنصور، ونذكر هاهنا وزارة الباقين» : (a grammar of arabic languge p3 v1)، فدلالة الصيغة: "قد ذكرنا" على الماضي القريب صريحة (الزمن واللغة ٢٣٣)، وتدل صيغة (قد فعل) على أنّ الحدث ماض بالنسبة لفترة ماضية فتكون قريبة منها، نحو (جئتك وقد أنجزت عملي) (انظر الفعل زمانه وأبنيته ٢٩)، أو (جئتك وقد بحّ صوتي)، فصيغة " قد فعل" في المثالين تدلّ على أن الفعل قد وقع قريباً من زمن التكلّم أو هو متّصل به كما في المثال الثاني.

ومن هنا ذكر أكثر نحاة العربية أن الماضي إذا وقع حالاً في الجملة وجب اقترانه بـ" قد" ظاهرة أو مقدّرة كما في المثال السابق، وكما في الآية: ﴿ ... جاؤوكم حصرت صدورهم.. ﴾ (النساء ٤/ ٩٠)، إذ قالو إنّ التقدير "قد حصرت"، وهذا لأنّ

"قد" تقرّب "فعل" من الحاضر أو تصله به، ومن أجل هذا جوّزوا اقتران الظرف الزماني "الآن" به، فيقال: (قد قام الآن) (الإنصاف ١/٢٤٥) وعلى هذا قال سيبويه: «وإذا قال (قد فعل) فإنّ نفيه: لمّا يفعل» (الكتاب ٣/١١٧)، و(لمّا) في النفي تفيد اتصال الماضي بالحاضر، أي أنّها تنفي الماضي متصلاً بالحاضر، كما في نحو: (لمّا يأت الوزير بعد) فالنفي للفعل "يأت" وقع في الماضي وهو ممتدّ إلى الحاضر، لأنّ إتيان الوزير متوقع أو منتظر في الحاضر. ومن هنا كان نفي (فعل) في العربية (لم يفعل)، ونفي (قد فعل) (لمّا يفعل) كما ذكر سيبويه (في النحو العربي نقد وتوجيه ١٥٦).

وقد تدلّ هذه الصيغة المركّبة على مجرّد الماضي المؤكّد أو المحقّق، الذي يؤدّي وظيفة إزالة الشك، في وقوعه في الماضي، نحو الآية: ﴿لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن﴾ (هود ١١/ ٣٦)، وعلى هذا ذكر د. المخزومي أنّ العربية ألحقت " قد" ببناء "فعل" ليدلّ المركّب على معنى زائد على ما يدلّ عليه البناء المجرّد نفسه من تأكيد وقوع الحدث، ولكن لهذا المركّب في الاستعمالات دلالة أخرى وهي الدلالة على وقوع الحدث في زمان قريب من الحاضر (السابق ١٥٠-١٥١).

وقد يقابل صيغة الماضي القريب في العربية (قد فعل) في الفرنسية (le passé composé)، الذي قد يعني وقوع الحدث التّام في الماضي القريب، (dictionnaire de linguistique larousse p484) أو المنتهي في الحاضر أو زمن التكلّم، ولكن بدون تحديد التاريخ، وهذا ما يميّزه عن le passé simple، وقد تكون له آثار أو نتائج في الحاضر، وهذا يفهم إذا تأمّلنا في جملة من نحو: (J ai lu un livre)، فهذه الجملة مكافئة دلاليا للجملة: (j ai un livre lu (maintenant

وفي استعمالات أخرى قد يعبّر عن حقيقة عامةّ وذلك إذا كان مصحوباً بظرف زماني نحو: la discorde a toujours régné dans univers l، أو نحو: l or a tou-jours été un métal précieux، أو عن عمل متكرّر أو اعتيادي نحو: quand elle a bien travaillé, on la félicite (précis de grammaire française, grevisse 185-186).

*** ترجمة الدلالة الزمنية لصيغة الماضي المركّب "قد فعل" في القرآن إلى الفرنسية:**

قد تدلّ صيغة "قد فعل" في القرآن على الماضي القريب أو المتصل بالحاضر، كما في الآيات التالية:

ـ ﴿ فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴾ (هود ١١/ ٥٧): واضح من سياق هذه الآية أنّ فعل "الإبلاغ" قد كان قريب الوقوع من وقت خطاب النبيّ هود لقومه، أو هو متّصل بحاضره، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Si vous vous détournez , je vous ai transmis le méssage que étais chargé... j (essai d interprétation du coran inimitable trad d.masson p293).

ـ ﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك.. ﴾ (هود ١١/٧٦): هذا خطاب من الله تعالى لإبراهيم يدعوه فيه إلى الإعراض عن المجادلة في شأن قوم لوط، لأنّه قد جاء الأمر بإحلال العذاب عليهم من الله، وأصبح المر مقضياً، ومجيء الأمر بالعذاب كان قبل قليل من خطاب الله تعالى لإبراهيم، ولهذا جاء التعبير في الآية بصيغة (قد فعل)، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Abraham ne t occupe pas plus de cette affaire ..l arrêt de ton seigneur est bien arrivé a terme ... (Alquran al karim 295 , trad dr salah eddine kechrid)

ـ ﴿ .. قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا ﴾ (يوسف١٢/ ٩٠): هذا جواب يوسف لإخوته عندما وجدوه في حال نعمة ومنّة من الله، وقوله لهم: ﴿ قد منّ الله علينا ﴾، زمن الفعل فيه قريب من خطابه لهم ومستمرّة آثاره في حاضره، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

il dit: C est moi Joseph et voici mon frère , dieu nous a effectivement comblés de ses bienfaits (ibid 313).

ـ ﴿ ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّدا، وقال يا أبت: هذا تأويل رؤياي قد جعلها ربّي حقّا.. ﴾ (يوسف ١٢/ ١٠٠): واضح من هذه الآية أنّ زمن الفعل في الجملة ﴿ قد جعلها ربّي حقّا ﴾ هو الماضي القريب أو المتصل بالحاضر، لأن أوّل الآية هو تحقيق لقوله: ﴿ هذا تأويل رؤياي ﴾ في آخرها، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Il éleva ses parents sur le trône et ils tombèrent en prosternation a ses pieds , il dit :cher père c est la l interprétation de mon songe de jadis ,dieu l a réalisé. (ibid 318) .

**** صيغة "كان فعل"**:

ـ تدلّ هذه الصيغة في العربية في الغالب على ماض بعيد أو منقطع، وقد استشهد د. المخزومي على هذا الزمن بقول المتنبي:

قد كان شاهد دفني قبل قولهم جماعة، ثم ماتوا قبل من دفنوا

وبقول زفر بن الحارث:

وكنّا حسبنا كلّ بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذاماً وحميـرا

هذا، ويرى الأستاذ حامد عبد القادر أن الماضي البعيد بصيغته المشهورة "كان فعل"، يستعمل للدلالة على حدوث فعل قبل غيره في الماضي، أي أنّه إذا حدث فعلان في الماضي أحدهما قبل الآخر، كان الفعل الأول بصيغة الماضي البعيد، والثاني بصيغة الماضي المطلق أو البسيط، كأن تقول: (حينما وصلت إلى الدار كان أبي قد خرج)، فهنا فعلان حدثا في الماضي، وهما وصولي إلى الدار وخروج

أبي منها، وقد وقع الفعل الثاني قبل الأول، فتستعمل صيغة الماضي البعيد للدلالة على الفعل السابق. (معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية ١٠/٦٦).

وقد تدخل الأداة " قد" على الصيغة " كان فعل" لتفيد مجرّد التوكيد لا التقريب، وعلى هذا أورد المستشرقان ديمومبين وبلاشير بيت مسكين الدرامي مثالا على هذا الزمن المركّب

قد كان شمّر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

وذكرا أنّ " قد كان شمّر" = " كان شمّر "، وترجماها إلى الفرنسية على النّحو الآتي: (Il avait retroussé ses vêtements..

(grammaire de l arabe classique p20).

وهذا يعني أن صيغة الماضي البعيد في العربية قد يقابلها في الفرنسية صيغة: Le plus-que parfait، الذي يستخدم في الغالب فيها للتعبير عن حدث وقع قبل حدث آخر في الماضي، نحو:

Il avait écrit sa lettre quand sa mère entra.

ولكنّه قد يستخدم في استعمالات خاصة للتعبير عن حدث متكرر أو اعتيادي، نحو: quand il avait déjeuné , il sortait.

وقد يستخدم مكافئاً لـ le passé composé نحو:

J étais venue vous présenter ma note. (précis de grammaire française, grevisse p187).

*** ترجمة الدلالة الزمنية لصيغة الماضي المركّب " كان فعل" في القرآن إلى الفرنسية:**

وردت صيغة "كان فعل" في القرآن وما شاكلها دالة في الغالب على زمن الماضي البعيد أو المنقطع بالنسبة إلى زمن التكلّم أو بالنسبة إلى حدث آخر وقع معه في الماضي، كما في الآيات:

ـ ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ (القمر٥٤/ ١٤-١٥): يذكر الأستاذ حامد عبد القادر في تحليله للمعنى الزمني لأفعال هذه الآية أن هناك أمـرين في الآية وقـعـا في الماضي: الأول: حـمل الله تعـالى لقـوم نوح في السفينة، ونجاته من الغرق، والثاني: كفر قوم نوح به، وأنه لّما كان الكفر قد حدث قبل النجاة، فقد أخبر به بصيغة الماضي البعيد، المكونة من فعلْ الكينونة المساعد والفعل المراد التعبير عن زمن الماضي البعيد فيه وهو " كفر"، أمّا الأمر اللاحق وهو نجاة قوم نوح بحملهم في السفينة فعبّر عنه بصيغة الماضي المطلق أو البسيط وهو "حملناه"، (معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية ١٠/ ٦٩). وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Nous le portâmes sur un assemblage de planches et de chevilles qui vogue sous notre garde ,a titre de récompense pour celui qui avait été renié.

ـ ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾ (إبراهيم ١٤/ ٤٤): جاء الماضي البعيد في هذه الآية بصيغة المضارع المنفي بـ (لم) بعد (كان) أي (لم تكونوا أقسمتم)، وهو يقابل صيغة الإثبات (كنتم أقسمتم)، لأنّ المضارع المنفي بـ (لم) في حكم الماضي المنفي بـ(ما)، و" فعل" في العربية نفيها " لم يفعل"، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

N aviez -vous point juré, autrefois, que vous ne deviez jamais disparaître?

ـ يتحقّق زمن الماضي البعيد في القرآن أيضا في صيغة " فعل" مقيدة ظرفياً بعبارة (من قبل) كما في الآية:

ـ ﴿ وحرّمنا عليه المراضع من قبل ﴾ (القصص ٢٨/ ١٢)، ويمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

On lui avait interdit auparavant les nourrices.

(Alquran al karim 507 , trad dr salah eddine kechrid)

ـ ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل . . ﴾ (الأحزاب ٣٣ / ١٥) : يلاحظ هنا أنّ دخول " قد" على صيغة الفعل الركّب "كانوا عاهدوا" هو لمجرّد التوكيد، إذ إنّ الزمن في الصيغة بقي دالاً على الماضي البعيد كما هو واضح في الآية، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي :

Et cependant ils s étaient engagés , auparavant , envers dieu ..))

(Le coran , trad boubakeur hamza p 142).

**** صيغة "كان يفعل" :**

تدلّ هذه الصيغة في العربية عادة على زمن الماضي الاستمراري، ومعناه استمرار حدوث الفعل في الماضي أو كثرة وقوعه فيه، نحو : (كان النبيّ "ص" يوصي بمعاملة الجار بالحسنى)، (الفعل زمانه وأبنيته ٣٤)، وقال المستشرق خراكوفيسكي عن هذه الصيغة : إنّها تفيد معنى ما يجري عادة، كقولنا (كانت الشمس تقسره على أن يغمض عينيه)، وأنّها صيغة الزمن الذي يفيد معنى الحدوث عادة، كقولنا : (كان الفلاحون يحرصون على على أن يظلّوا مختبئين) (دراسات في علم النحو العام والنحو العربي ٤٩٥، ٢٢٢)، ويرى الأستاذ حامد عبد القادر أنّ الماضي الاستمراري أو التعوّدي يدلّ على حدوث الفعل في الزمن الماضي على سبيل الاستمرار أو التعوّد لمدّة معيّنة . (معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية ١٠ / ٦٦) .

وتتمّ دلالة الماضي الاستمراري بمضامّة السوابق الفعلية (أمسى، بات، ظل، أصبح . .إلخ) لـ (يفعل)، نحو :(أمسى المطر يهطل) و(بات الأسد يزأر) و (ظلّ القطار يسير في الصحراء)، ويرى د . السامرّائي أن صيغة الماضي الاستمراري المركبة من (كان وأخواتها الزمنية) و صيغة " يفعل" تستعمل في سرد أحداث

ماضية، كما يحدث في الحكايات والقصص، نحو: (كان يتصدّق على الفقراء ويقري الضيف) .(الفعل زمانه وابنيته ٣٠) .

ويقابل صيغة الماضي الاستمراري " كان يفعل" ومثيلاتها imparfait افي الفرنسية، والذي يستخدم فيها غالباً ليدلّ على أن فعلا حدث في جزء من الماضي من دون أن يبيّن فيه المبدأ والنهاية، أي أنّه يطول، نحو: Le soir tombait

وقد يدلّ على حدث دائم أو اعتياديّ في الماضي، نحو:

Les citoyens romains dédaignaient le commerce.

(précis de grammaire française , grevisse p187).

*** ترجمة الدلالة الزمنية لصيغة الماضي المركّب "كان يفعل" في القرآن إلى الفرنسية:**

تعبرّ صيغة الماضي الاستمراري في القرآن "كان يفعل" عن أحداث وقعت في الماضي في فترة أو فترات يطول استمرارها في العادة، ولهذا يكثر استخدامها في الحديث عن أمور تتكرّر أو تستمرّ في الحدوث في الماضي ، وذلك في قصص الأنبياء والأمم الغابرة، كما في قوله تعالى:

ـ ﴿إنّهم كانوا لايرجون حسابا﴾ (النبأ ٧٨/٢٧): الناظر في هذه الآية يلاحظ معنى الاستمرار في الماضي في قوله عن الكفّار: ﴿كانوا لا يرجون حسابا﴾ مقصود قصدا لا سبيل إلى إدراك كنهه أو قيمته التعبيرية إلاّ بالتنبيه على المعنى الذي تدلّ عليه الصيغة المركّبة، فنفي رجاء الكافرين الحساب على سبيل الاستمرار في الماضي فيه بيان لفظاعة جرمهم وسدورهم في غيّهم لا يرعوون عنه، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Il n espéraient aucun compte.

ـ ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (المطففين ٨٣/١٤): إنّ التعبير بفعل الكون في قوله ﴿ما كانوا يكسبون﴾ دون أن يقال: (ما كسبوا)، ليدلّ

على أنّ الذي ران على قلوبهم هو شيء استقرّ من زمن قديم، والتعبير بالمضارع في قوله: (يكسبون) للدلالة على تكرر كسبه ومعاودته، فيحصل من اجتماع معنى الاستقرار والتكرار أنّ كسبهم إيّاه متكاثر، وذلك يقتضي أنه قد صار سجية وملكة لهم بحيث يتعسّر إقلاعهم عنه، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

Non pas ! mais ce qu ils acquéraient rouilla leurs c urs .

ـ ﴿ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ﴾ (الشعراء ٢٦/ ٩٢): واضح من هذه الآية أن زمن الفعل المركّب "كنتم تعبدون" هو الماضي الاستمراري، لأنّ فعل العبادة كان عادة مستمرّة لهم في الماضي لا تتخلّف، وعلى هذا يمكن ترجمة هذه الصيغة الزمنية في الآية إلى الفرنسية على النحو الآتي:

On leur dit : ou sont ceux que vous adoriez ?

(Alquran al karim 507 , trad dr salah eddine kechrid).

*** نتيجة البحث وخلاصته:**

ممّا سبق يتبيّن أن ترجمة الصيغ الزمنية في النصّ القرآني إلى اللغة الفرنسية ـ أو إلى أيّ لغة أخرى ـ لا تكون دقيقة و لا صحيحة إلاّ بمراعاة ما يسمّى بقرائن الزمن النحوي المقالية (ومن ضمنها الصيغة والأداة والعلاقات التركيبية والدلالية . .) والحالية (وتبدو في ملابسات المقام المرتبط بالنصّ أو ما يسمّى حديثاً بسياق الحال) . وليس ربط المعنى الزمني في القرآن بصيغ معيّنة ثمّ مقابلة تلك الصيغ بما يعدّ نظيرا لها في اللغة المترجم إليها بالمسلك الصحيح دائما، ولاسيما في الصيغ البسيطة كصيغة " فعل"، فقد شاهدنا آنفاً في هذا البحث كيف أن هذهّ الصيغة في لغة النصّ القرآني تتعدّد دلالاتها الزمنية بحسب قرائن أخرى محدّدة غير الصيغة، هذا الأمر ليس حادثاً في العربية وحدها كما قد يُتصوّر، بل هو حاصل

في اللغات الأخرى كالفرنسية مثلاً، ولهذا حرصت في هذه الصفحات على تبيان أهم معاني الصيغة الزمنية المختلفة في النصّ القرآني ما أمكن ذلك، ثم ترجمة المعنى المقصود بالضبط.

وقد لوحظ أن الأخطاء في ترجمة معاني الصيغ الزمنية في القرآن التي وقع فيها كثير من مترجمي القرآن إلى الفرنسية كانت راجعة إلى عدم مراعاة تلك الحزمة المتشابكة من القرائن الزمنية المشار إليها آنفاً (وتجدر الملاحظة هنا أن بعض الصيغ الزمنية ـ المركبة خاصة ـ قد حافظ على مدلولات زمنية دقيقة شبه ثابتة في التركيب).